

روح المعاني

متحزنا متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب ولم آل بهذا فلم يجد نفعاً ولم تقبلوا مني وصيغَةَ المضارع في قوله سبحانه ولكن لا تحبون الناصحين .

97 .

- حكاية حال ماضية أي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعدواوتهم وخطابه عليه السلام لهم كخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل المشركين حين القوا في قلب بدر حين نادى يا فلان يا فلان باسمائهم إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً وذلك مبني على أن الله تعالى يرد أرواحهم إليهم فيسمعون وذلك مما خص به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويحتمل أنه عليه السلام ذكر ذلك على سبيل التحزن والتحسر كما تخاطب الديار والاطلال وجوز عطف فتولى على فأخذتهم الرجفة فيكون الخطاب لهم حين أشرفوا على الهلاك لكنه خلاف الظاهر وأبعد من ذلك ما قيل إن الآية على التقديم والتأخير فتقديرها فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين .

وقصة ثمود على ما ذكر اسحق وغيره أن عاداً لما هلكوا عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض وعمرها حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فيهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا في الأرض وعبدوا غير الله تعالى فبعث الله تعالى إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وكان صالح عليه السلام من أوسطهم نسباً وبعث إليهم وهو شاب فدعاهم إلى الله تعالى حتى شمت وكبر ولم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فلما ألقى عليهم بالدعاء والتخويف سألوه أن يرهم آية تصدق ما يقول فقال لهم : آية آية تريدون فقالوا : تخرج غداً معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح : نعم فخرجوا وخرج معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو ابن حراش وهو يومئذ سيد ثمود : يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة أي تشاكل البخت أو مخرجة على خلقة الجمل جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا : نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمحضت الصخرة تمحض النتوج بولدها فاصدعت عن ناقة عشاء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها إلا الله تعالى

عظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فأمن به جندع ورهط من قومه وأراد أشرافهم أن يؤمنوا به فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحياب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فلما خرجت الناقة قال لهم : هذه ناقة ا□ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبتها في أرضهم ترعى الشجر وتشرب الماء وكانند ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر الحجر يقال له الآن بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها ثم ترفع رأسها وتتفحج لهم فيحلبون ماشاؤا من اللبن فيشربون ويدخرون ثم تصدر من غير الفج الذي وردت منه لاتقدر تصدر من حيث ترد لضيقه عنها حتى إذا كان الغد يومهم فيشربون ما شاؤا ويدخرون ما شاءوا ليوم الناقة ولم يزالوا في سعة ورغد وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر يظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم وتهبط إلى بطن الوادي في حره وجدبه وتشتو في بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى طهره في برد وجذب فاطر ذلك بمواشيهم للأمر الذي يريد ا□ تعالى بهم والبلاء والاختبار